(111) وهو استخراج دقيق فيما أحسب ، إذ كما يتلاشى هذا الجهد الضائع الذي تبذله العنكبوت وهي تتخذ لها بيتا ليست له مقومات البيوت في الوقاية ، ولا أحكامها في العمارة ، فكذلك جهدهم بعبادتهم الواهنة ، ولما كان أوهن البيوت هو بيت العنكبوت ، فقد ثبت أن دينهم المخالف لعقيدة التوحيد هو أوهن الأديان وأعجزها ، فعلق حمل الآية مجازا على قضية منطقية قياسية ذات طرفين صغروي وكبروي . ومن ثم كانت النتيجة : أن أوهن الأديان هو دينهم(1) . 4 ـ وحين يريد المجاز القرآني تنبيه العقول ، وتوجه المشاعر نحو الحدث بالذات ، فإنه يشير إليه وحده ليثير الانتباه حوله ، فيضفي صفة الفاعلية على غير الفاعل حينا ، وسمة الإرادة على غير المريد حينا آخر ، ويضيف ضجيج الحركة على غير المتحركة ، فتقف خاشعا أمام الأسلوب العقلي وهو يستعمل صيغة الفاعل ويريد بها المفعول ، وهو نوع من المجاز العقلي في علاقاته ووجوهه البيانية ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : (يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة * يقولون أءنا لمردودون في الحافرة * أءذا كنا عظاما نخرة * قالوا تلك إذا كره خاسرة * فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة *)(2) . فأنت أمام هذه الألفاظ : الراجفة ، الرادفة ، الحافرة ، الخاسرة ، الساهرة ، وكلها بصيغة الفاعل مع أن الأصل أن تكون الأرض مرجفة لا راجفة ، وأن التابعة مردفة لا رادفة ، وأن حفرة القبر محفورة لا حافرة ، وان الكرة خسر أصحابها ، وأن الساهرة سهر أربابها ، وعدول القرآن عن هذا الأصيل بمثل هذا الاطراد ظاهرة أسلوبية لا يهون إغفالها ، قد يكون المراد وهي تتكرر في القرآن لفت النظر نحو الحدث بما له من طواعية وتلقائية مستغنيا فيه عن ذكر المحدث وهو ا تعالى ، فالأرض راجفة وهي مرجوفة ، والرادفة التابعة وهي مردوفة ، وهكذا القول بالنسبة للحافرة والخاسرة والساهرة ، فهنا طواعية تتمثل في أن ترجف الأرض ذاتها ، وهنا

_____

(1) ظ : المؤلف ، الصورة الفنية في المثل القرآني : 158 . (2) النازعات : 6 ـ 14 .